بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: ٨٣
الأستاذ: الشيخ محمد تقي الشهيدي
المبحث: مباحث القطع

التاريخ: الاربعاء، ١٨ شوال المكرم، ١٤٤٤ق

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين

كان الكلام حول المسالک فی قبح التجری.

فوصلنا الی المسلک الثالث و هو مسلک صاحب الکفایة من قبح العزم علی العصیان من دون دن یسری القبح الی الفعل.

ولکن قلنا بأنه خلاف الوجدان اولا، فإن الوجدان یری قبح الفعل.

و ثانیا بنائا علی مسلک صاحب الکفایة العزم علی العصیان غیر اختیاری کما سیأتی توضیحه، فکیف یکون الفعل غیر الاختیاری قبیحا؟ هل قتل الذئب لانسان یقبح عقلا؟ یعنی العقل یقول لا تفعله؟! هذا لا معنی له. القبیح هو الفعل الاختیاری. فإذا کان

صاحب الكفاية يرى أن العزم على العصيان أى ارادة العصيان عمل غير اختيارى فكيف يكون قبيحا؟

المسلک الرابع: مسلک الشيخ الانصارى و إن تردد فيه. من أن التجرى ليس قبيحا، و انما هو مجرد كاشف عن سوء سريرة المتجرى و خبث باطنه.

لكن مضافا الى أن ما ذكره من عدم قبح الفعل خلاف الوجدان، يرد عليه أن العصيان لا يكشف عن سوء سريرة العاصى و خبث باطنه فكيف بالتجرى!. الانسان له نفس امارة بالسوء الا ما رحم الله، وشيطان مسيطر عليه يوسوس فى نفسه، و لابد أن يستعيذ دائما الى الله تعالى من شر الوسواس الخناس، و قد ورد فى الروايات أن ابليس يجرى فى نفس ابن آدم مجرى الدم فى العروق، فتغلب الشهوة و الشقوة على الانسان فيرتكب المعاصى. [كما يقال فى الدعاء:] الهى لم اعصک حين عصيتک و أنا بربوبيتک جاحد و لا لحقک مستخف و إنما بلية عرضت و سولت لى نفسى و غلبنى هواى و اعاننى عليها شقوتى. فالعاصى ليس خبيث الباطن، فكيف بالمتجرى.

فهكذا المسلک الرابع ايضا غير صحيح.

المسلک الخامس: تفصيل صاحب الفصول: حيث قال: إن قبح التجرى يتزاحم مع حسن الواقع، مفسدة التجرى تتزاحم مع مصلحة الواقع، و يقع بينهما الكسر و الانكسار. فإذا تجرى الانسان فارتكب ما هو واجب واقعا باعتقاد أنه حرام، فليس قبيحا و لا يذمه العقلاء. بخلاف ما لو ارتكب مباحا باعتقاد أنه حرام.

لكن هذا ايضا بالنسبة الى المولى الحكيم غير متجه. فإن مولى الحكيم يرى أن هذا الفعل الذى صدر من المكلف معنونٌ بعنوان الاقدام على العصيان أو الاقدام على الظلم، فيقبّحه العقل و إن كان فيه مصلحة تعود الى المولى أو الى غيره.

و اما الكلام فى المقام الثانى و هو استحقاق العقاب.

فنسب الى المشهور القول باستحقاق العقاب وانكره جماعة آخرون، شكّک فيه الشيخ الاعظم و انكره السيد الخمينى و السيد السيستانى.

نحن نذكر اولا بيانات لدعم مسلک المشهور ثم نذكر بيانات فى ادلة المنكرين لاستحقاق العقاب على التجرى.

اما بيانات القائلين باستحقاق العقاب على التجرى فاهمها ما يلى:

البيان الاول: ما قيل من أن التجرى هتک لحرمة المولى و تضييع لحقه وظلم فى حقه، فيمكنه أن يعاقب عليه.

و لكن قلنا بأننا لا نقبل ان العصيان هتک لحرمة المولى فكيف بالتجرى.

يقول السيد السيستانى: الله سبحانه و تعالى خالق السموات و الارض، ما هى قيمة الارض فى مجموعة ما خلقها الله؟ "إنا زينا السماء الدنيا بزينةٍ الكواكب". كل زين الكواكب التى يقال بأن النور الواصل الى الارض من بعض الكوكب وصل الى الارض بعد ميليون سنة نورية، و ذاک الكوكب منحمى و مضمحل، الان وصل نور ذاک الكوكب الينا. كم قيمة الكرة الارضية فى ضمن مجموعة ما خلقها الله من السموات و الارض؟ الانسان الذى يعيش فى ضمن هذه الكرة الارضية فى ضمن مجموعة ما خلقها الله فى هذه الارض طوال قرون، كم قيمة هذا الانسان؟ هذا الانسان كم قيمته حتى حينما يرتكب العصيان يظلم الله سبحانه و تعالى و يهتک حرمته؟!

أنا اوافق السيد السيستانى، اقول العرف يرى أن هذا العصيان الصادر من العبد ليس هتكا لحرمة المولى الا إذا كان بصدد اللجاج و العناد معه سبحانه و تعالى، فكيف بالتجرى.

البيان الثانى: ما ذكره فى البحوث من أن العقل يدرک أن الاقدام على العصيان تضييع لحق طاعة المولى سبحانه و تعالى و لا يقبح عقابه عليه.

المرحوم الشيخ عبدالكريم الحائرى ذكرنا انه قال ارتكاب القبيح الذى ليس بعصيان لا يوجب استحقاق العقاب الا إذا كان تضييعا لحق المولى و هتكا لحرمته.

ولكن نحن نقول: كل ما كان قبيحا و إن شككنا فى كونه ظلما على المولى و هتكا لحرمة المولى فنحن ندرک أن عقابه على هذا القبيح عقابا تأديبيا ليس بقبيح. نعم! العقاب الاخروى ليس عقابا تأديبيا، بله عقاب مجازاة و انتقام. ليس عقابا تأديبيا. اليوم عمل و لا حساب و غدا حساب و لا عمل. دار التأديب دار الدنيا، دار الآخرة دار الجزاء، ينتقم الله سبحانه و تعالى من المجرمين،" إنا من المجرمين منتقمون"، العقاب يكون انتقام و مجازاة.

نحن و إن لم ندرک أنه لا يقبح العقاب الانتقامى و المجازاتى بالنسبة الى المتجرى، لكن يكفينا أن لا ندرک أنه يقبح. هذا هو المهم. هل ندرک أنه قبيح؟ لا. فمهما احتملنا أن عقاب المتجرى عقابا انتقاميا و مجازاتيا و ليس قبيحا فى الآخرة فالعقل يحكم بوجوب دفع العقاب المحتمل و تجب التوبة عقلا من التجرى للامن من هذا العقاب الاخروى المحتمل.

البيان الثالث: ما ذكره صاحب الكفاية: من أنه يدرک العقل حسن العقاب على العزم على العصيان.

ثم تنبّه صاحب الكفاية الى مبناه من أنّ العزم على العصيان كالعزم على أىّ شىء ليس اختياريا، حيث قال: الفعل الاختيارى هو ما صدر عن اختيار و ارادة المكلف، و نفس اختيار المكلف لو كان اختياريا لزم التسلسل. يعنى لو احتاجت ارادة الفعل الى ارادة اخرى تتعلق بارادة الفعل، فارادة ارادة الفعل ايضا تحتاج الى ارادة ثالثة و هكذا، و هذا يلزم منه التسلسل. فكيف يعاقب الانسان على فعل غير اختيارى؟

اجاب عن بجوابين، اقدّم جوابه الثانى و يا ليته لم يأت بهذا الجواب. قال: العقاب لازم تكوينى لبعد هذا الانسان عن سيده، و بعد هذا الانسان عن سيده نتيجة عزمه عى العصيان لازم خبث باطنه، و خبث باطنه ذاتى له، و الذاتى لا يعلل. الانسان الخبيث الله سبحانه و تعالى لم يجعله خبيثا، كان خبيثا فأوجده، و الانسان السعيد لم يجعله الله سعيدا، كان سعيدا فى ذاته وماهيته فأوجده الله.

فإذا سئلت لم صار هذا الانسان شقيا و خبيث الباطن و يصد منه العزم على العصيان و اخوه صار سعيدا وطيب الباطن و يصد منه العزم على الاطاعة؟
فيقال سؤالک هذا مثل سؤال من يقول لمَ صار الحمار ناهقا و الانسان ناطقا. الحمار ناهق و الانسان ناطق، الله سبحانه و تعالى خلقهما.

ثم قال: إن قلت: فما هو فائدة ارسال الرسل؟ اذا الانسان الشقى يبقى شقيا و الانسان السعيد يبقى سعيدا، فما هى فائدة ارسال الرسل؟

قال: فائدة ارسال الرسل أن تكتمل نفس الانسان السعيد، و يكون لله سبحانه و تعالى على الانسان الشقى حجة "لئلا يكون للناس على الله حجة" بل يكون له عليهم حجة بالغة، "فلله الحجة البالغة".

نقول: يا صاحب الكفاية! إذا علمت الانسان العاصى و الشقى هذا البيان المزيف يقوم يوم القيامة يقول يا ربّ ماذا يكون ذنبى؟ قاتل الحسين عليه السلام يوم القيامة يقوم و يقول ماذا يكون ذنبى؟ يقال له لم قتلت الحسين عليه السلام؟ يقول قتل الحسين عليه السلام لازم تكوينى لخبث باطنى، و خبث باطنى لازم تكوينى لذاتى، كل ذلک لم يكن باختيارى. فهل تعاقب الذئب على أنه لمَ أكل الانسان؟ ما هو الفرق بينى و بين الذئب؟ الذئب يقتل الانسان و يأكل لحمه، و لا احد يذم الذئب، هذا لازم طبيعته أن يأكل الانسان. فلازم طبيعة قاتل الحسين عليه السلام أن يقتل الحسين، فلماذا تعاقبونه و لماذا تذمونه؟ ذمكم لقاتل الحسين مثل ذمكم لورقة الشجر ذات رائحة نتنة. يا ورق الشجر الذى لک ريح نتن تف عليک، لعن على ابوک! يصير هكذا. مثل ما تقبّح شخصا لأنه قبيح المنظر و تعاقبه لماذا انت قبيح المنظر؟ يقول ليس باختيارى، هل الله سبحانه و تعالى عرضَ علىّ جمال يوسف و أنا لم اقبل؟ ماذا افعل بعد.

تقولون لازم قتل الحسين تكوينا عذاب جهنم. نقول لماذا ما صار لازم أكل الذئب للانسان دخول الذئب فى جهنم؟!

تقول هذا خارج عن اختياره تعالى؟ اثر قتل الحسين أن يدخل جهنم و لم يكن بيد الله تعالى؟!

يعنى سلبتم الاختيار من الانسان ما اكتفيتم به، صعدتم الى الله سبحانه و تعالى و سلبتم منه الاختيار. خطيئة ماذا يفعل الله، لم يكن بيده. العقاب لازم تكوينى لهذا العمل و الثواب لازم تكوينى لذاک العمل الآخر.

على أىّ حال كل هذا الجواب نتيجة بيان فلسفىٍّ مشهور حول اختيار الانسان. و من اقتنع بذاک البيان ورّط روحه فى هذه المجالات. و بقية الكلام فى ليلة الاحد انشاءالله.